obeikandl.com

الفصل الثالث

الانتفاضة

البيان الأول لحركة التحرير الوطني الفلسطيني

اتكالا منا على الله ، وإيمانا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ، وإيمانا منا بواجب الجهاد المقدس ، وإيمانا منا بالموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج ، وإيمانا منا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم .. لذلك فقد تحركت أجنحة من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ / ١٢ / ١٩٦٤ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأراضي المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة ، وإننا نحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا لأن قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة ، وسنعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب ، كما وإننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان ، لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعرض مصالح الدول للدمار أينما كانت .

عاشت وحدة شعبنا .. وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه .

التاريخ ١/ ١/ ١٩٦٥ القيادة العامة لقوات العاصفة [1]

كان هذا هو البلاغ الأول الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة التابعة لحركة فتح . أما البيان السياسي الأول الذي أذاعته القيادة العامة لقوات العاصفة فجاء فيه "

([1]) وثائق فلسطينية (٦) الصادرة عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني .

إن قوات " العاصفة " المنبثقة من إرادة الجماهير الفلسطينية الثائرة لتدرك إدراكا تاما أبعاد المعركة سياسيا وعسكريا وهي تعمل متخطية كل الظروف والعقبات معتمدة على قوتها الذاتية وطاقات شعبنا العربي .. إن الموقف جد لا هزل فيه فالشهداء قد تساقطوا والدماء قد أريقت فلنرتفع إلى مستوى المسئولية ، مسئولية المعركة الشريفة لأن هذه الانطلاقة ما هي إلا بداية لحرب تحريرية ذات منهج مخطط ومدروس ، ويهمنا في هذه المرحلة التاريخية الحرجة أن نعلن بوضوح تام أن مخططاتنا في الميدان العسكري والسياسي لا تتعارض مع المخطط الفلسطيني العربي الرسميين في المعركة لأن الكفاح من أجل فلسطين يصب في مجرى واحد يبتدئ وينتهي باجتثاث الخطر الصهيوني من على أرضنا .. أما نحن فقد تحركنا من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن وخير ما يدفعنا إيماننا بأن هذا هو الطريق السليم لإخراج قضيتنا من الدوامة التي عاشت فيها معتمدين على أمتنا العربية وكفاحها المشترك والقوى التحررية في العالم ، ولن يوقف هذا الزحف حتى يرفرف علم فلسطين فوق أرضنا الغالية مهما كانت التضحيات " [1]

المقاومة الفلسطينية وحرب العصابات

كانت هذه هي سياسة حركة فتح الفلسطينية – المعلنة – معركة شريفة ضد العدو المحتل لا تتعارض مع الموقفين العربي والفلسطيني الرسميين في المعركة فلا تستهدف مدنيين ولا تقتل أبرياء ولا تخطف طائرات لكن هذا لم يكن هو موقف كل الفصائل الفلسطينية – مع الأسف – فقد راحت بعض الفصائل تنهج طريقا غير شرعي في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي فالجبهة الشعبية الفلسطينية بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ – كما سبق القول – ولم تفلح محاولات ياسر

([1]) نفسه .

obeikandl.com

عرفات (رئيس منظمة التحرير الفلسطينية) في وقف هذه العمليات التي كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء إلى أهدافها النبيلة ، ولكن هذه الفصائل استمرت في نشاكها وأقدمت على خطف وقتل ١١ رياضياً إسرائيلياً أثناء دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في ميونخ عام ١٩٧٢.

والحقيقة أن تبني بعض الفصائل الفلسطينية لأسلوب حرب العاصبات التي تقوم على خطف طائرات مدنية ، واغتيالات لأبرياء ، وعمليات تفجير عشوائية ، هذه العمليات أساءت أيما إساءة – ومازالت – للمقاومة الفلسطينية ، وأعطت إسرائيل المبرر للتمادي في طغيانها ضد الشعوب العربية . وأفقدتها التعاطف الدولي لقضيتها العادلة ، وأظهرتها بمظهر الإرهاب والتطرف بل وعملت على أعطاء مشروعية دولية للممارسات الإسرائيلية الانتقامية ، ولم تحقق أي نجاحات للقضية الفلسطينية بل على العكس أساءت إليها .

الانتفاضة الفلسطينية الأولى

ومن هنا تبدو أهمية الانتفاضة الفلسطينية التي انطلقت في (ديسمبر ١٩٨٧) في أنها تظهر الفلسطينيين بمظهر المناضلين الشرفاء الذين يجمعون إلى جانب شرف الغالية شرف الوسيلة فقد أخذت الانتفاضة شكلا مشروعا للمقاومة وهو العصيان المدني ، الذي يستبدل الإضرابات السلمية بالعمليات الانتحارية التي تستهدف المدنيين ، ويستبدل رشق الجنود بالحجارة بخطف الطائرات المدنية ، وتوجيه الصورايخ على المناطق السكنية .

وقد جاءت النتائج مبهرة للانتفاضة فعلى سبيل المثال ، لم يكن قد انقضى غير ثلاثة أشهر وحسب على اندلاع الانتفاضة الفلسطينية حتى كانت الخسائر الاقتصادية التي منيت بها إسرائيل ، وأعلنتها " نعمة هينج " الناطقة باسم وزارة الاقتصاد ، وقتذاك صدمة مروعة للدولة والمجتمع .

في بيان " هينج " الذي أصدرته في الثالث والعشرين من مارس ١٩٨٨ رصدت الخسائر الآتية :

٣١٢ مليون دولار قيمة الانخفاض في الإنتاج الإسرائيلي ، وخاصة في مجالات الإنشاءات ، ٦٠ مليون دولار قيمة تكاليف قوات الجيش والبوليس الإضافية التي استدعت لمواجهة أعمال الانتفاضة ، وكذلك للضفة الغربية وغزة نتيجة حملة المقاطعة للسلع الإسرائيلية .

ومنذ الأسابيع الأولى للانتفاضة تيقظت القيادات العسكرية لهذا الخطر ، ويعترف الجنرال " دان شمرون " رئيس أركان القوات المسلحة في ذلك الوقت في حديث مع صحيفة " دافار " في الأول من يونيو ١٩٨٨ : " إن هذه الحرب التي يخوضها الجيش الإسرائيلي ، والواضح أنها سوف تستمر لفترة طويلة في الضفة الغربية وغزة أصعب كثيرا من الحروب التقليدية ، لأن الجندي مؤهل بشكل أساسي لخوض الحروب ضد الجيوش الأخرى . إنني على قناعة بأن استخدام القوة العسكرية لن يسفر عن إخماد الانتفاضة بشكل مطلق إلى إذا أرادت تلك الجماهير الثائرة الهدوء وحدها ، ولأسباب خاصة من جانبها وحدها .باختصار نحن نجلس فوق برميل بارود.

وفي نفس التاريخ يعلن الجنرال المتقاعد " أوري أور " عن تكوين منظمة جديدة باسم "المجلس الإسرائيلي للسلام والأمن " تضم (١٥٠) ضابطا كبيرا من المتقاعدين والاحتياط يدعون إلى ما كان من المحرمات وهو حتمية إنهاء الاحتلال " لأن الاستمرار فيه يلحق ضررا فادحا بأمن إسرائيل ويقضي على كل أمل لتحقيق السلام في المنطقة .

وتتابعت دون توقف الاعترافات والصدمات التي لا سابقة لها في تاريخ المؤسسة العسكرية الإسرائيلية : فرار صغار الضباط والجنود من أداء الخدمة العسكرية في غزة والضفة الغربية ، وتزايدت حالات الانتحار بين الجنود الشباب ، ورفض تنفيذ الأوامر

العسكرية في ميدان العمليات ، وتكوين جمعيات مضادة للحرب ضد الانتفاضة في أوساط الشبان الذين أصبحوا على وشك الاستدعاء للخدمة العسكرية على أساس " رفض المشاركة في قمع ومطاردة شعب يريد الاستقلال " .

وحذرت جماعة الأطباء النفسيين في إسرائيل أنه في مناخ الصدام بين الجيش وجماهير الانتفاضة هناك اثنان من كل ثلاثة جنود أصيبا بعاهات نفسية مختلفة ، وصارا يترددون بصورة منتظمة على العيادات النفسية للعلاج ، وأشارت التقارير العسكرية إلى ارتفاع المضطرد في أعداد الجنود الذين يهربون من واقعهم الدموي عن طريق تعاطي المخدرات ، كما ارتفع معدل جرائم العنف بصورة ملحوظة .

وأخذ المجتمع الإسرائيلي يضيق بالحياة غير الآمنة داخل قلعة عسكرية لها قوانينها التي تحد من حركة المواطنين الطبيعية اليومية في " وطن الآباء والأجداد " ، وباتت قطاعات متزايدة منه ترفض سياسات الحكومة سواء أكانت تحت قيادة الليكود أو العمل التي لا ترى حلا إلا من خلال القمع وفوهة البندقية ، وراح المجتمع يفرز عن هذا الرفض ما سمي بالأجساد السياسية الجديدة خارج دائرتي الحزبين الكبيرين المتداولين للسلطة فظهرت حركة " السلام الآن " ، وحركة " هناك حد " ، وحركة " السيدات المتشحات بالسواد " (أمهات الجنود والضباط القتلى) ، وجماعة المثقفين من أجل السلام مع الشعب الفلسطيني التي أخذت تستقطب – كما لم يحدث من قبل – قطاعات من الرأي العام تناهض سياسات الحكومة وخطر تشجيع المستوطنين والمستوطنات في الأرض المحتلة على أمن إسرائيل وابتزازها للمجتمع واقتصاد الدولة.

أثر الانتفاضة على اسحق رابين

ونستطيع أن نلمس بوضوح آثار الإنهاك الإسرائيلي من جراء الانتفاضة على موقف " اسحق رابين " منذ أن كان وزيرا للدفاع عندما تفجرت الانتفاضة عام ١٩٨٧ حتى عاد في ١٩٩٢ رئيسا لحزب العمل ورئيسا الحكومة .

١- تحدد موقفه الأول في " سحق الانتفاضة بالقبضة الحديدة في غضون أيام محدودة ، قدرها في البداية بأسبوعين ثم امتد بها إلى أربعة أسابيع " ولما لم يحدث ذلك انتقل إلى موقفه الثاني .

٢- اتخذ رابين موقفه الثاني من الانتفاضة قبيل أن يغادر منصبه إلى المعارضة بشهرين ، وصاغه على النحو التالي " إن سياستنا في المرحلة الراهنة تستهدف إنهاك الفلسطينيين وأصابتهم بالتعب والإجهاد إلى الدرجة التي تقعدهم عن مواصلة طريق العنف المدني وتقويض الأمن والنظام والاقتصاد في إسرائيل . وهنا تحول رابين إلى موقفه الثالث .

٣- موقف رابين الثالث الذي اتخذه وهو في المعارضة وفاجأ به مؤيديه ومعارضيه معا هو " لا حل عسكري للانتفاضة ، وأن الحل الوحيد هو الحل السياسي من خلال التفاوض مع الفلسطينيين من سكان المناطق غير المنضويين لمنظمة التحرير وقيادة عرفات " بسبب تورط منظمة التحرير في عمليات إرهابية ضد المدنيين.

وعندما كسب رابين معركة الزعامة في الحزب ضد شيمون بيريز وتمكن حزبه من انتزاع أغالبية محدودة في انتخابات الكنيست عام ١٩٩٢ ضد الليكود على أساس برنامج الحزب السلامي الجديد ، وتولي السلطة وشارك في توجيه عملية التفاوض مع الفلسطينيين انتقل إلى موقفه الرابع .

٤- ويتمثل موقف رابين الرابع من الانتفاضة في أنه " لا حل سياسي ممكن بدون التفاوض المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية حول التسوية " ورغم ما أشعر به شخصيا من ألم إلا أن هذا هو الطريق الوحيد الأسرع والأجدى لعملية السلام العربية / الإسرائيلية " .

وعلى الجانب الفلسطيني كانت منظمة التحرير على وعي بأن الانتفاضة الجماهيرية في الداخل هي ذروة النضال الفلسطيني ضد إسرائيل في ديسمبر ١٩٨٧ ، وآخر ما بقي في الواقع الراهن والمستقبل المنظور لأجيال الثورة المعاصرة وخاصة بعد نجاح إسرائيل في :

١- طرد المنظمة من لبنان عام ١٩٨٢ .

٢- تسميم آبار وجودها وحركتها في جميع البلاد العربية المحيطة بإسرائيل .

٣- خروج مصر من ساحة المواجهة العسكرية وعقد معاهدة السلام مع إسرائيل .

٤- الانخفاض المتوالي للدعم السياسي والمالي العربيين للمنظمة .

٥- تمزق وضعف الحركات الوطنية الشعبية العربية التي كانت تشكل الحضن الدافئ للمقاومة الفلسطينية .

من هنا ، حرصت المنظمة على إنشاء قيادة ميدانية واحدة للانتفاضة في داخل الأرض المحتلة تتصاعد بأهدافها خطوة خطوة في حدود سقف معين هو حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، والتفاوض من خلال مؤتمر دولي لإقامة دولة فلسطينية مستقلة في قطاع غزة والضفة الغربية عاصمتها القدس ، وتم ذلك في المؤتمر الصحافي الذي عقده " ساري نسيبه " الأستاذ بجامعة بيرزيت بفندق ناشيونال بالاس بالقدس العربية في الرابع عشر من يناير ١٩٨٨ .

وركزت المنظمة على ضرورة عدم الوقوع في الإغراءات التي تنبثق عن كسر الجماهير لحاجز الخوف والرهبة من الاحتلال وقوته ، وتحريم استخدام الأسلحة العسكرية ، والاكتفاء بأسلحة " العنف المدني " من الحجارة والإضرابات والتظاهرات وحذرت من محاولات حرق المراحل قبل أوانها تحت ضغط الحماس الجماهيري [1]

([1]) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٨ – ٢٥ بصرف ..

وهكذا فإن النهج الذي سلكته الانتفاضة وهو العصيان المدني ، وتجنبها أساليب حرب العصابات قد أكسبها احترام العدو قبل الصديق ، وأجبر المجتمع الدولي للإصغاء للقضية الفلسطينية ، وتفهم مطالبها المشروعة ، وإدانة العدوان الإسرائيلي غير المسئول الذي يعمل على قمع الانتفاضة الفلسطينية المسئولة مما دفع الإسرائيليين إلى التخلي عن المشروع الصهيوني الرامي إلى إقامة إسرائيل وطنا لكل يهود العالم على أرض الآباء والأجداد المعروفة باسم فلسطين بعد أن يمحو من الوجود والكتب والجغرافيا الفلسطينيين لتصبح فلسطين أرضا بلا شعب ، لشعب بلا أرض على حد قول هرتزل في مذكراته .

ولم يكتف الإسرائيليون بالتخلي عن المشروع الصهيوني فحسب بل راحوا يسعون جاهدين للوصول إلى حل سلمي للقضية الفلسطينية يتنازلون على إثره عن الضفة الغربية وقطاع غزة .

الإرهاب الإسرائيلي والانتفاضة

مع اندلاع انتفاضة الشعب الفلسطيني في ديسمبر ١٩٨٧ أصبحت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة يومية مع حركة عصيان مدني تمتد جغرافياً بمسافة الضفة الغربية وقطاع غزة وتتخذ من الحجارة والعَلَم الفلسطيني رموزاً لمقاومة الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الذي استهدف محو الوجود العربي الفلسطيني. وبحكم طبيعته الاستيطانية الإحلالية لجأ الاستعمار الصهيوني إلى المزيد من الإرهاب، فدخل حلقة مفرغة إذ جاء الرد على المزيد من الإرهاب بالمزيد من الانتفاضة.

وبعد اندلاع الانتفاضة بأيام معدودة (في ٢٢ ديسمبر ١٩٨٧) أصدر القضاء العسكري حكماً على حسين أبو خاطر (٢٩ عاماً) من مخيم النعيرات بالسجن لمدة

عام بتهمة الاشتراك في مظاهرة (وكانت أقصى عقوبة من قبل شهرين فقط). ولكن المظاهرات تحولت إلى سلوك يومي لمئات الآلاف من الفلسطينيين.

ولقد لجأت سلطات الاحتلال إلى تكثيف آليات العقاب الجماعي من حظر تجوُّل وحصار أمني للبيوت فضلاً عن التوسع في الاعتقالات وأحكام السجن والتعذيب والطَرْد والإبعاد. لكن الجهود الإسرائيلية لتطوير آلة الإرهاب اتجهت أساساً إلى كيفية قمع حركة الاحتجاج اليومي الجماهيري في شوارع المدن والقرى ومخيمات اللاجئين. ومن هنا يمكن أن نلحظ مأزق فشل معالجة الإرهاب بالمزيد من الإرهاب عندما تلجأ سلطات الاحتلال للرصاص الحي والرصاص البلاستيكي والرصاص المطاطي. وقد بدأت في أغسطس عام ١٩٨٨ في استخدام ذخيرة جديدة تمزج بين المطاط (الغلاف الخارجي للطلقة) والمعدن وهو ما أسفر عن استشهاد ٤٧ فلسطينياً في الخمسة شهور الأولى من استخدام هذه الذخيرة. وفي العام نفسه (١٩٨٨) لجأت السلطات الإسرائيلية إلى طائرات الهليكوبتر بتوسُّع لمطاردة المتظاهرين وإطلاق النار عليهم.

ثم توسع جيش الاحتلال في استخدام قنابل الغاز المسيل للدموع على نحو غير مسبوق وهو ما أسفر عن حالات اختناق بين النساء والصبية والأطفال على نحو خاص. ثم استخدمت سلطات الاحتلال قنابل غازية تدخل في نطاق أدوات الحرب الكيماوية تحتوي على مكونات كيماوية تفضي إلى الاختناق والموت. وخلال عام ١٩٨٨ بدأت في استخدام هذه القنابل (الأمريكية الصنع) في بلدة حلحول واستشهد خمسة فلسطينيين من جرائها في قباطية خلال العام نفسه.

ولكن تكنولوجيا الإرهاب المدعومة أمريكياً أخفقت في قمع الانتفاضة وصبية الحجارة، وقد حاول الإسرائيليون اكتشاف سر الحجارة فقامت ورش الجيش بتطوير مقلاع لقذف الأحجار لاستخدامه ضد المظاهرات الفلسطينية، وبدأ أولى تجاربه في مخيم بلاطة قرب نابلس .

وقد تعمقت أزمة الإرهاب الإسرائيلي، فالمواجهات اليومية مكشوفة أمام أعين العالم. فوجهت آلة الإرهاب جانباً من نشاطها ضد رجال الإعلام وضمن ذلك وسائل الإعلام الأمريكية والغربية الحليفة للمشروع الاستيطاني. وتلقى العديد من الصحفيين والمصورين الضرب على أيدي جنود جيش يزعم قادته أنهم يمثلون الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة. وقد بيَّن أن الجيش الإسرائيلي قد استورد تكتيكات عصابات الموت في أمريكا اللاتينية، إذ قام جنوده (من فرقة المستعربين) والمتخفون في ملابس عربية بقتل الفلسطينيين .

وقد قامت الدولة الصهيونية برفع عدد جنود جيشها في الضفة وغزة بما يزيد عن خمس مرات مقارنةً بالفترة السابقة على الانتفاضة. وبالمقابل فإن ظاهرة محاكمة الجنود والضباط الذين يرفضون أو يتهربون من الخدمة هناك قد طرحت نفسها بقوة على التجمُّع الصهيوني .

وتقدر حصيلة الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي أثناء الانتفاضة (من ١٩٨٧ . ١٩٩١) بحوالي ألف شهيد ونحو ٩٠ ألف جريح ومصاب و١٥ ألف معتقل فضلاً عن تدمير ونسف ١٢٢٨ منزلاً واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية.

ولقد ظلت السياسة الأمريكية تمارس دور الراعي والحامي للإرهاب الصهيوني الإسرائيلي رغم ذلك. ويعكس اتجاه تصويت الولايات المتحدة في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة الإصرار على الوقوف إلى جانب إسرائيل. وإن كان صمود الانتفاضة في وجه الإرهاب قد عمَّق انقساماً بين الإدارة الأمريكية وبين قطاعات من الرأي العام الأمريكي. [1]

([1]) د. عبد الوهاب المسيري (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " المجلد السابع الجزء الثالث الباب الثالث الإرهاب الصهيوني/الإسرائيلي والانتفاضة

لم تكد تمر عدة شهور على الانتفاضة الفلسطينية الباسلة التي كسبت تعاطف العالم تجاه القضية الفلسطينية ، كما كسبت إدانة الرأي العام العالمي لأعمال العنف والإرهاب الإسرائيلي حتى بدأت القضية الفلسطينية تتحرك نحو إيجاد حل سلمي لها . لكن للأسف الشديد وكما هي عادة العرب وقادتهم لا ينظرون إلا إلى أنفسهم ولا يعملون إلا لمصلحتهم الشخصية فراحت إيران وسوريا تعملان على عسكرة الانتفاضة وتحويلها من عصيان مدني يتخذ من الحجارة سلاحا ضد الجنود الإسرائيليين إلى عنف وإرهاب يتخذ من العمليات الانتحارية سلاحا ضد المدنيين مما أفقد المقاومة الفلسطينية كثيرا من تعاطف العالم وسلكها في مسك الإرهاب وراحت أجهزة الإعلام الصهيونية تضخم من العمليات الانتحارية التي تستهدف المدنين وتجبه الرأي العالم العالمي ضد الفلسطينيين وتلتمس الأعذار للعدوان الإسرائيلي .

عسكرة الانتفاضة

قصة عسكرة الانتفاضة بدأت في السادس عشر من إبريل ١٩٨٨ على إثر اغتيال الموساد لـ " أبي جهاد " مسئول القيادة المركزية لمنظمة التحرير عن تسيير شئون الانتفاضة – في تونس – وكان ذلك ضربة موجعة للقيادة الوطنية الموحدة الميدانية ، ترافق معها انفصال حركة حماس (حركة المقاومة الإسلامية) عن القيادة الموحدة ، وأصبح هناك بالتالي قيادتان متضاربتان في العمل والحركة لجماهير الانتفاضة :

أما حركة حماس فقد استمرت في تبني هذه الشعارات – بدعم إيراني سوري – واتخذت من العمليات الانتحارية ضد المدنيين وسيلة لتحقيقها مما أفقد المقاومة شرعيتها وحولها إلى إرهاب في نظر المجتمع الدولي وجر على فلسطين والفلسطينيين الدمار والخراب ، حتى وإن كانت منطق حماس في قتلها للمدنين معاملة إسرائيل بالمثل . والإسلام الذي ينسبون حركتهم إليه لا يحل قتل الأبرياء أبداً . والإسلام لا ينتصر إلا بالتمسك بالحق وليس بأخلاق المعتدين .

نتائج عسكرة الانتفاضة على الشعب الفلسطيني

وليس هناك أي مكسب من عسكرة الانتفاضة إلا لصالح قوى خارجية تعمل على إشعال الجبهة الإسرائيلية إما للوصول إلى تسوية سلمية تعيد إليها أرضها المحتلة كما هو حال النظام السوري أو لتحقيق أطماع إقليمية كما هو حال إيران التي على استعداد للتحالف مع الشيطان في سبيل تحقيق الهدف المرجو وهو الظهور على القومية العربية ، ودعم إيران لحركة حماس لا يدل على تعاطفها مع العرب في صراعهم مع إسرائيل فهذا التحمس يأتي من منطلق اجتذاب أنظار الشيعة في إيران أولا ، وفي المنطقة العربية ثانيا ، وفي العالم الإسلامي ثالثا ، ومن ثم تتأكد النوايا المذهبية والأيديولوجية التي تكمن وراء السياسات الإيرانية .

والذي يؤكد أن الإيرانيين لا يعملون إلا لأيديولوجيتهم فحسب وإن تعارضت مع أي مصلحة عربية أو بمعنى أدق على حساب المصلحة العربية ما ذكرته وكالة الأنباء الفلسطينية " وفا " أنه في أثناء الحرب الإسرائيلية الفلسطينية في لبنان في يونيو ١٩٨٢ طلب الرئيس العراقي صدام حسين من القيادات الإيرانية في خطابه الشهير إلى الشعب العراقي في ٢٠ يونيو ١٩٨٢ ، وقف إطلاق النار على أن يتم انسحاب القوات العراقية من جميع الأراضي الإيرانية التي سبق للعراق السيطرة منذ بدء الحرب حسب جدول زمني مدته عشرة أيام من ٢١ يونيو حتى ٢٠ يونيو وقد تم انسحاب القوات العراقية طبقا لنفس الجدول الزمني ، وذلك حتى تتمكن القوات العراقية من إرسال الإمدادات إلى الفلسطينيين المقاتلين في لبنان ، ولم تستجب إيران لتلك النداءات بفعل الاتفاق الإيراني السوري الإسرائيلي الذي باركته الولايات المتحدة من أجل القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وحتى إبعاد الفلسطينيين عن لبنان التي كانت آخر معقل النضال

openkanar.com

الفلسطيني ضد إسرائيل وبذا تكون إيران حلقة في السلسلة التي صيغت بإحكام للقضاء على العنصر الفلسطيني في الصراع العربي الإسرائيلي " [1]

ومن أجل المصالح الخارجية (السورية – الإيرانية) ومصالح بعض الفصائل الفلسطينية ضاعت المصلحة الفلسطينية . لأن هذه القوى عمدت على عسكرة الانتفاضة ووجهتها إلى المدنيين ، مما أثار العدو الإسرائيلي الذي راح يقتل المدنيين الأبرياء **إن عسكرة الانتفاضة لم تكن لتصب في المصلحة الفلسطينية بل هي تصب في مصالح أنظمة استبدادية خارجية فرضت نفسها على الشعب الفلسطيني وراحت تعارض كل فرص إحلال السلام لأن قضية شعب فلسطين أصبحت حجة مشروعة لاستمرار سياساتها القمعية لشعوبها من جهة ، ولتحقيق مكاسب إقليمية من جهة أخرى كل ذلك على حساب القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وللأسف الشديد فإن تشجيع وسائل الإعلام العربية للعمليات الاستشهادية ساهم فى استمرار ذلك ودعمه .**

إننا كعرب مازالت تحركنا أهواؤنا وعواطفنا ، وما زلنا نعد المنطق وحسن السياسة والواقعية جبنا وانهزامية وضعف . لقد ترك العرب الفلسطيني وحيدا ليواجه أضخم قوة فى الشرق الأوسط من الناحية المادية والفنية، وجلسوا ليتفرجوا عليهم وهم يحملون إلى القبور وهم فى ريعان الشباب وللأسف فان الفلسطيني ما زال هو المطارد رقم واحد في جميع المطارات والمعابر العربية. أيها العرب كفاكم مزايدة على الفلسطيني وجراحه ويا أيها الفلسطينيون من الأفضل لكم أن تحاولوا إيجاد قيادة واعية ومسئولة تحرص على بناء مجتمع سليم ، يكون أساسا لدولة قوية عندها يمكن أن تحصلوا على حقوقكم ا تتعلمون من إسرائيل عدوكم !! هذا أفضل لكم ألف مرة من أن تخلقوا للعدو حججا لتدمير ما تبقى لكم من مؤسسات أنتم في أمس الحاجة لها ولا يغرنكم

([1]) نقلا عن بسيوني محمد الخولي " الصراع العراق الإيراني " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٧

المزايدون، ولن يتحرك أي جيش عربي لنجدتكم لأنهم للأسف ليسوا في خدمة الآمن العربي ولكن هذه الجيوش في خدمة الأنظمة العربية المستبدة .

فعسكرة الانتفاضة – إذن – خطأ فادح للقيادة الفلسطينية التي حرَّضت البسطاء والمساكين والجماهير العامة على قتل المدنيين وهي لا تعلم إلى أي مصير مجهول تقود الشعب الفلسطيني. فراحت بلا مسؤولية وبطفولة سياسية تحرض الشعب الفلسطيني من خلال أدوات الإعلام ورموز السلطة على الانتفاضة، فاستشهد من استشهد وجرح من جرح وشوه من شوه من الفلسطينيين الذين لا زال يطاردهم سوء الطالع بسبب قيادتهم الدكتاتورية الفاسدة إداريا وماليا، هذا عدا الكوارث التي حلت بالبيوت والمزارع والاقتصاد الفلسطيني بسبب هذا التخبط الأعمى الذي أوجدته القيادة لشعبها.

لقد أخطأت الفصائل الفلسطينية (حماس – الجهاد الإسلامي) في الدفاع عن قضيتم فقد تبنت تطرفا في الغاية و في الوسيلة جميعا ، فقد رفعت شعارات أكبر بكثير من إمكانياتها وقدراتها فهي تصف إسرائيل بأنها دولة مزعومة لا حق لها في الوجود ، وأنها تسعى لإلقائها في البحر ، هي ومن ورائها !! كما أن اتخذت من قتل واختطاف الأبرياء وسيلة لتحرير الأرض المحتلة غير عابئة بأثير ذلك على تماسك المجتمع الإسرائيلي المفكك الذي وحدته هذه الشعارات الجوفاء ، وقوته هذه الممارسات الرعناء ، ولا مهتمة بالتأثير السلبي لهذه الممارسات لدى المجتمع الدولي الذي خسر تعاطفه مع قضيته العادلة وكسب عداءه . وكانت النتيجة أن إسرائيل احتلت أراضينا واستمر وصفهم بالضحية أما نحن فضاعت أراضينا واتهمنا نحن بالبربرية والنازية .

وفي ذلك يقول نزار قباني بعد هزيمة العرب في الخامس من يونيو ١٩٦٧

السر في مأساتنا

صراخنا أضخم من أصواتنا

وسيوفنا أطول من قاماتنا

خلاصة القضية توجز في عبارة

لقد لبسنا قشرة الحضارة

والروح جاهلية

بالناي والمزمار

لا يحدث انتصار

كلفنا ارتجالنا

خمسين ألف خيمة جديدة

.....

ما دخل اليهود من حدودنا

وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا

بداية الصراع بين فتح وحماس

اشتعل السباق بين منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) وحركة حماس فور انقسام القيادة الموحدة إلى قيادتين متضاربتين في فكر والعمل مما أدى إلى الوقوع في أسر " حرق المراحل " واللجوء إلى استخدام السلاح العسكري ، الأمر الذي تصاعد بالبطش الإسرائيلي إلى درجة رهيبة ، وطال إغلاق كثير من المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية وقطع المياه والكهرباء ، وعزل المناطق بعضها عن بعض ، وباختصار باتت الحياة مرهقة للغاية ، ولقمة العيش – بالمعنى الحرفي – مفتقدة والناس تعيش على لحم بطونها الحية ، وغدت الانتفاضة – رغم استمرارها بإيقاع ثقيل وبطئ –

obeikandl.com

تدخل مرحلة الأزمة الطاحنة وتتطلب لاستعادة قوة دفعها ما لا يقل عن أربعمائة إلى ستمائة مليون دولار سنويا . هذا في الوقت الذي كان الدعم والعمق العربيين قد بلغا نقطة الصفر تقريبا .

ويمكن القول أن هذه المرحلة تقابلت – زمنيا – مع مرحلة تفاقم الأزمة السياسية والاقتصادية في إسرائيل في نفس الوقت .

وكانت نقطة التقابل في ذلك الإجراء الباتر ذي الحدين الذي لجأت إليه إسرائيل منذ أواخر عام ١٩٩٢ بسلوكها ما يسمى بسياسة عزل وإغلاق المناطق المحتلة لقطاع غزة والضفة الغربية ، الأمر الذي ضاعف من الأعباء على كل من الإسرائيليين والفلسطينيين في حياتهم اليومية ، على نحو لا يطاق .

عند هذه النقطة في الصراع الضاري المباشر ، لم يعد في قدرة أي من الطرفين الاستمرار في الصدام المميت على هذا النحو ، وكان لا مفر من اختيار الانتحار الجماعي أو الحياة معا . وكان الخيار الصعب ، وربما المؤلم لكنه الوحيد الممكن ، هو تجربة الحياة في كيانين جنبا إلى جنب على نفس الأرض .

ولأن الخيار غير عادي ، كان لا مفر من التفاوض حول أسسه وقواعده من خلال قناة غير عادية ، وكانت " أسلو " البعيدة في المكان والقريبة من الطرفين مفتوحة لهما دون فيود أو إعلام . (١)

وفي الفصل التالي سوف نناقش الدوافع التي حدت بكل من أمريكا ، وإسرائيل ، ومنظمة التحرير إلى اللجوء إلى التسوية السلمية للقضية الفلسطينية .

***

(١) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٧ ، ٢٨ .

obeikandl.com